الجهود العلمية للأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح في ميدان التّعليميات اللّغوية

كريمة* أوشيش	مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية	behalima@yahoo.fr
صليحة مكّي	مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية	Msouhila2002@yahoo.fr
حبيبة بودلعة	مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية	lamboudel@yahoo.fr
فتيحة خلوت	مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية	f.khelout@crstdla.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/24 تاريخ القبول: 2021/07/12

ملخّص

لقد اهتم الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح بالوضع الّذي آل إليه التعليم في بلادنا وعمد في كثير من بحوثه ومقالاته إلى الكشف عن خطورة المشاكل التي تثيرها هذه القضية في جميع الأطوار بدءا من الابتدائي إلى الجامعي، وكانت لديه وجهات نظر عميقة في المسائل التي يتوقف عليها تطوير التعليمية اللّغوية.

وفي هذا الإطار نسعى في هذه الدراسة إلى إبراز أهم الأفكار والمبادئ العلمية التي تفطّن إليها الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح في مجال تعليم اللغات عموما والعربية خصوصا في الجزائر وفي الوطن العربي

كلـه. خاصّـة آراءه فيـما يخـصّ اللّغـة الّتـي يجـب تعليمهـا للمتعلـم، وكيفيـة وضـع البرامـج اللّغويـة وتخطيطهـا وتقديمهـا للمتعلـم؛ بهـدف إكسـابه الملكـة اللّغويـة والملكـة التّبليغيـة معـا.

الكلمات المفتاحية:

الأسـتاذ عبـد الرّحمـن الحـاج صالـح - التّعليميات اللّغويـة - النّظريـة الخليلية الحديثـة - الأفـكار والمبـادئ العلميـة - الملكـة اللّغوية -الملكـة التّبليغية.

المؤلف المراسل: كريمة أوشيش، البريد الالكتروني: behalima@yahoo.fr

La contribution scientifique du Professeur abderrahman hadj salah au domaine de la didactiques des langues

Résumé

Le professeur Abderrahman Hadj Salah s'est toujours intéressé à l'analyse du système éducatif algérien, publiant ainsi un nombre d'articles sur l'importance qui doit être accordée à l'enseignement des langues à tous les niveaux allant du primaire à l'université. Dans ce contexte, nous essayons à travers cette étude de souligner les principes scientifiques les plus importants, qui selon le Pr. Hadj Salah, doivent être pris en considération dans le domaine de l'enseignement/ apprentissage des langues en général et de l'arabe en particulier en Algérie et dans le monde arabe. Nous notons en particulier son point de vue sur la langue à enseigner à l'apprenant et sur la conception de programmes ayant pour objectif l'acquisition de la compétence linguistique et communicative.

Mots clés:

Pr Abderrahman Hadj Salah - Didactique des langues - Théorie néo-khalilienne - Principes scientifiques - Compétence linguistique - Compétence communicative.

The scientific contribution of the Professor abderrahman hadj salah to the domain of language didactics

Abstract

Pr Abderrahman Hadj Salah had always been interested in analysing the Algerian educational system, publishing a number of articles about the importance that has to be given to language teaching at all the levels from the primary school to the university. In this context, we seek in this paper to highlight the most important scientific principles according to Pr Hadj Salah that have to be taken into consideration for teaching and learning Arabic language, especially his views on the language that must be taught to the learner, and how to develop language curricula for the mastery of both the linguistic and the communicative competencies.

Key words:

Pr Abderrahman Hadj Salah - Language teaching - Neo khalilian theory - Scientific principles - Linguistic competence - Communicative competence.

مقدّمــة

يعتبر الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح أحد أعلام الفكر العربي البارزين، كما يُعد بشهادة جميع أهل الاختصاص أب اللّسانيات في الجزائر وفي الوطن العربي، فقد أسّس النّظرية الخليلية الحديثة (وهي عبارة عن دراسة معمّقة لأعمال الخليل وتلميذه سيبويه)، وأمضى أكثر من سبع عشرة سنة من البحث والعمل المتواصلين ليخرجها إلى الوجود في كتابه "اللّسانيات العربية واللّسانيات العامة "وما زال يطوّرها،حيث إنها أثبتت خصوبتها ومرونتها من خلال استثمارها في ميادين عدة (التّعليميات اللّغوية، العلاج الآلي للغة، العلاج الآلي للكلام المنطوق، علم أمراض الكلام). ارتكزت النّظرية الخليلية الحديثة لتحليل اللّغة على مجموعة من المفاهيم والأسس كمفهوم الباب والمثال، مفهوم الأصل والفرع، مفهوم القياس، مفهوم الانفصال والابتداء، مفهوم الموضع والعلامة العدمية، وتوصلت بتطبيق هذه المفاهيم إلى أنّ التحليل البنوي للكلام يقع على مراتب ومستويات منها مستوى اللّفظة الّذي لا تعرفه اللّسانيات الحديثة.

وفضلا عن هذا وذاك، فقد اهتم الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح بالوضع الّذي آل إليه التعليم في بلادنا وعمد في كثير من بحوثه ومقالاته إلى الكشف عن خطورة المشاكل التي تثيرها هذه القضية في جميع الأطوار بدءا من الابتدائي إلى الجامعي، وكانت لديه وجها تنظر عميقة في المسائل التي يتوقف عليها تطوير التّعليميات اللّغوية، فجاء بجملة من الآراء العلمية الصائبة التي تسهم في النهوض بتعليم اللّغات عموما والعربية خصوصا في الجزائر وفي الوطن العربي كله.

وفي هذا الإطار سنسعى في هذا المقال إلى إبراز أهم الأفكار والمبادئ العلمية والتّطبيقية التي أفاض بها هذا العالم الفذّ في مجال التّعليميات اللّغوية خاصّة آراءه فيما يخص كيفية إكساب المتعلم الملكة اللّغوية والملكة التّبليغية معا.

1- حوصلة لأهم الأفكار والمبادئ العلمية التي جاء بها الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح

1-1- فيما يخص اللغة التي يجب تعليمها للمتعلم

1-1-1- العناية بالمتعلم والتفطن لحاجاته التّعبيرية الحقيقية[1]

يحثّ الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح واضعي البرامج والكتب اللّغوية قبل بناء أي منهج تعليمي على حصر حاجات المتعلم التّعبيرية بإجراء تحريات ميدانية واسعة النطاق يقوم بها الباحثون، وبناء المحتويات على هذا الأساس، ثم ضبط مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة أو الجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في كلم رحلة تعليمية للتعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية وإدراجها في الكتب المدرسية؛ لأنّ المادة اللّغوية التي تقدم للتلاميذ في المدرسة لا تستجيب لما تقتضيه أحوال الخطاب لاحتوائها على مترادفات كثيرة، وألفاظ غريبة قل استعمالها حتى عند الكتاب. والمستجيب له بالفعل في هذا الميدان وفي الوقت الراهن مثلما قال الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح هو "ما يجده في اللغات الأجنبية وما تقتبسه منها العاميات المحلية(...). كما قد يكثر فيها المترادف من الألفاظ ونعني بذلك الكلمات التي تؤدي معنى واحد أو تدرج في الكتاب الواحد وأحيانا في الدرس الواحد وقد لا يحتاج المتعلم إلى جميعها" (الحاج صالح، 2008، ص 34)؛ "فالعيبان الأساسيان اللذان تتميز بهما النصوص المدرسيّة (في كل ما ليس علميا وفي بعض الكتب العلمية أيضا) هما كثرة المفردات التي لا يحتاج إليها الطفل- وحتى الراشد- وفي الوقت نفسه غياب لأسماء المسميات الحديثة من الحياة العامة. (...) وذلك لأنّ ما يتعلمه الأطفال في المدرسة من الألفاظ التي تدل على مفاهيم ضرورية للحياة هو شيء قليل، في بحث الطفل عنها في لغة أخرى ويستنقص بذلك العربية الفصحى بل وينفر منها لحشوها ويزدريها لنقائصها" (الحاج صالح، 2008، ص 36و37).

ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ مؤلفي البرامج والكتب اللغوية المدرسيّة لا يميزون

بين ما هو قليل وغريب ومتروك وبين ما هو كثير في الاستعمال وما يحتاج إليه النّاطقون ولا وجود له في القاموس، فأهم شيء هو أن نعلم التلميذ اللّغة الشّائعة الاستعمال على ألسنة الناس في المشافهة والتحرير ونترك اللغة النّادرة التي تؤدي نفس المعنى لمن أراد التخصّص في علم اللغة في مستوى التعليم العالي؛ لأنّ "المتعلم لا يحتاج إلى كل المفردات الموجودة في اللغة للتعبير عن آرائه بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية". (الحاج صالح، 2007، ص 44).

1-1-2- الإقرار بوجود أكثر من مستوى في التعبير

لقد انحصر تعليم العربية منذ زمن على التعبير المنقبض (المرتّل) واتّخذ المعيار المدرسي الوحيد؛ حيث "أصبح همّ المعلم هو الإعراب والنطق الصّحيح ببنية الكلمة، وتحقيق الهمزة وأهمل المستوى العفوي وهو ما أجازته العرب من تسهيل للهمزة وإدغام الكثير من الحروف، وإخفاء الكثير من الحركات واختلاسها وتسكين بعض المتحركات..." (الحاج صالح، 2007 ، ص 44).

ويرجع السبب في ذلك لجهل المعلم بوجود أكثر من مستوى في العربية كغيرها من اللغات الحية :

- مستوى التعبير الاسترسالي الذي يستعمل في مقام الأنس، ويمتاز بكثرة الإدغام واختلاس في تأدية الحروف، والكلم والحذف والتقديم والتأخير وكثرة الإضمار وهو فصيح سمع عن العرب الموثوق بعربيتهم في عصر الفصاحة العفوية.

- مستوى التعبير الترتيلي الذي يستعمل في جميع الحالات التي تتصف بالحرمة، وفيه تظهر عناية المتكلم الشديدة ما ينطق من ألفاظ وما يحدثه من صياغة بتخفيف الحروف.

وعليه أوجب الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح ما يأتي:

- الإقرار بوجود أكثر من مستوى في اللغة، وتكوين المعلمين على هذه الحقيقة، "فيجب أن ينبه المتعلم على أنّ التعبير الذي أصيب بالتخفيف (تخفيف الهمزة

وإخفاء الحركات) هو فصيح وقد سمع في مخاطبات العرب العفوية وقرئ بها القرآن. وإذا نطق به في مقام الأنس فهو بذلك خاضع لما تقتضيه لغة العرب ولم يخرج عنها. فإذا كثر هذا كما هو الحال بالنسبة إلى الفرنسية والإنجليزية فإنّ لغة التخاطب ستصير- شيئا فشيئا وبتعميم التعليم- فصيحة 90 بالمئة. "(الحاج صالح، 2007، ص 4).

- إحياء التعبير العفوي غير المتكلّف الّذي استخفّه العرب في الزمان الذي كانت تكتسب فيه الملكة بالسليقة، وإنعاشه؛ لأنّ هذا المستوى هو الّذي يمكن أن يقوم بالدور الحيوي الّذي تقوم به العامية حاليا.

- تكييف البرامج والكتب اللغوية المدرسية بمراعاة هذين المستويين من التعبير، ويمكن أن يحصل ذلك بإدخال عدد من قواعد التعبير الاسترسالي في المناهج، وخصوصا في كيفية الأداء الصوتي؛ كأن يدرج في البرنامج الأداء الصوتي كدرس تطبيقي قائم بذاته، ويعتمد في ذلك على الأوصاف العلمية لمخارج الحروف والظواهر الصّوتية العربية، ويراعى فيه الأداء السليم والأداء الفصيح العفوي المستخفّ الذي يجب اعتماده في التخاطب اليومي.

- تنظيم دروس خاصة في الأداء الصّوتي للمعلّمين.

1-1-3- مراعاة في الاستعمال الفعلي للّغة جميع الأحوال الخطابية الّتي تستلزمها الحياة اليومية وعدم الاقتصار على أحوال معينة تخص الخطاب الأدبي وحده.

يؤكد الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح أنّ تعلّم اللّغة "لا بدّ أن يستجيب لما يحتاج إليه المتعلّم للتعبير عن كلّ ما يختلج في نفسه وما يبدو في ذهنه وما يكنّه من غرض، فاللّغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كلّ شيء، فإذا لم يفهم ذلك المعلّم وقصد تعليم الأساليب التي يجدها في النصوص في ذاتها ولنفسها،أي كنماذج للأساليب الجميلة، دون مراعاة الاحتياجات التعبيرية الحقيقية التي يشعر بها المتكلّم عند استعمالها لفعلي للغة في مختلف الأحوال الخطابية التي تثيرها الحياة

اليوميـة، فإنّـه يكـون بذلـك أخطـأ الغـرض مـن الأسـاس بـل جمّـد بذلـك اسـتعمال اللغـة العربيـة وقصّرهـا عـلى الجانـب الأدبي الجـمالي ليـس غـير" (الحـاج صالـح، 2007، ص 22).

فعـلى الرغـم مـا للنصـوص الأدبيـة مـن أهميـة بالغـة في تربيـة التلاميـذ عـلى الـذوق الأدبي، وتنميـة حسّـهما لوجـداني، إلاّ أنّهـا لا تسـاعد كثـيرا في إكسـابهم الملكـة اللّغويـة والتّبليغيـة وهـذا يقتـضي "أن يكـون تعـادل بـين عـدد النصـوص الأدبيـة ومـا يرجـع إلى الحيـاة اليّوميـة" (الحـاج صالـح، 97، ص 6)؛ بمعنـى أن نلقـن التلاميـذ اللّغـة الّتـي تمكّـن هممنـا لاتصـال بغيرهـم والتّعبـير عـن أفكارهـم ولكـن بـدون إهـمال اللّغـة الأدبيّة الرّاقيـة؛ لأنّ احتـكاك التلاميـذ بالنّـماذج الرّاقيـة يكسـبهم أسـاليب عربيـة فصيحـة "فالطفـل إن لم يطلـع مبكّـرا عـلى مـا كتبـه الأدبـاء والعلـماء بـشيء كثـير مـن التقريـب إلى ذهـن هـو مراعـاة مداركـه فتبقـى لغتـه فقـيرة ذات خصاصـة مهولـة وبالتالي مسـتواه الثقـافي أيضـا (....) وقـد بينـت التجـارب أنّ الطفـل يحتـاج إلى المسـتويين الاثنـين معـا في أيّ سـن مـن عمـره، وإن طغـى أحدهـما عـلى الآخـر كانـت النتيجـة وخيمـة" (الحـاج صالـح، 97، ص 6). وعليـه ينبغـي عـلى واضعـي الكتـب اللّغويـة المدرسـيّة التنويـع في النّصـوص بمراعـاة المسـتويين معـا: مسـتوى تسـتلزمه الحيـاة اليّوميّـة ومسـتوى يخـص الخطـاب الأدبي؛ لأنّ اللّغـة إذا اقتـصر تلقينهـا عـلى صحـة التّعبـير وجمالـه فقـط واسـتهان بمـا يتطلّبـه الخطـاب اليومـي مـن خفـة واقتصـاد في التعبـير وابتـذال واسـع للألفـاظ تقلصـت رقعـة اسـتعمالها وصـارت لغـة أدبيـة محضـة.

1- 2- فيما يخص كيفية تقديم الدرس اللّغوي

1-2-1- تقريـب ظـروف تعليـم اللغـة مـن الظـروف الطبيعيـة والأحـداث العاديـة

يلعـب الإطـار الحـسي دورا هامـا في عمليـة تحصيـل الآليـات اللاشـعورية التـي ينبنـي عليهـا التّعبـير السـليم؛ بمـا يوفـره مـن مرئيـات ومسـموعات مختلفـة يتّخذهـا المتكلـم موضوعـا لحديثـه بطريقـة عفويـة، وعليـه ينبغـي عـلى مـدرس اللّغـة في رأي الأسـتاذ عبـد الرّحمـن الحـاج صالـح أن يجعـل الظـروف التـي يقـع فيهـا تعليـم اللّغـة أقـر بمـا

يمكن من الظروف الطبيعيّة والأحداث العادية الّتي يعيشها التّلميذ عند اكتسابه للغة محيطه لأنّ "أبقى المهارات اللّغوية وأرسخها هي تلك التي تحصل في جو من العفوية يغمرها لسعي الحثيث لإرضاء الحاجات والرّغبات ودفع المضار وما إلى ذلك من المسالك الطبيعية (...) وفي وسط تتوفّر فيه كل المرئيات والمسموعات ومختلف المحسوسات الأخرى التي يتّخذها المتكلم موضوعا لحديثه. فمن ثم أيضا أهميّة الإطار الحسي الّذي تجري فيه العمليات الرّامية إلى اكتساب الآليات اللاّشعورية" (الحاج صالح، 2007، ص 63).

1-2-2- إعطاء الأولويّة للمظهر الشفاهي للّغة على المظهر الكتابي

يتناول التبليغ التعليمي أربعة أنواع من الآليات اللّغوية وهي فهم المنطوق والمكتوب وإنشاء الكلام مشافهة وملكة إنشائه تحريرا. وأهم المعايير في هذا النطاق هو أسبقية اللّغة المنطوقة على المكتوبة؛ لأن وظيفة اللّغة الأساسيّة هي التبليغ والتّخاطب. لذلك يوصي الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح على ضرورة الانطلاق في العمل التعليمي من اللّغة المنطوقة الّتي تتميّز بعفويتها وعدم تكلّفها، كأن تتخذ وحدة خطابية (نص مسموع) يبلغ مشافهة في إطار محسوس مناسب لمحتواه. فما يجب الاعتناء به إذن هو إمداد المتعلم بوسيلة عملية للتخاطب وممارسة اللّغة عفويا؛ لأنّ "إكتساب اللّغة هو قبل كل شيء اكتساب مهارة التّبليغ" (الحاج صالح، 2007، ص 78).

1-2-3- التّمييز بين النّحو العلمي والنّحو التّعليمي

النّحو العلمي هو نحو نظري يهدف إلى وصف وتفسير النظام اللّغوي الّذي تخضع له اللّغة العربيّة كنحو الخليل وسيبويه. أمّا النّحو التّعليمي فيخص النّحو الّذي يجب أن نعلمه للتّلاميذ لغرض الاستعمال الفعلي للّغة في واقع الخطاب. وعليه يرى الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح ضرورة تجنب التّحديدات النّظرية البحتة لأنّه "لا يعتمد أبدا على النظر في اللّغة (كيف ما كان) لاكتساب المتعلم الملكة التي تنقصه ولكن يجوز أن يحصل هذا النّظر بعد تحصيلها" (الحاج صالح،

2007، ص 71). بل يجب الاعتماد على الحد الرّسمي الذي يحدّد العناصر اللّغوية بالمخصّصات التي تدخل عليها وتحدّدها بذلك بنويا مثلما فعل نحاة العربية المتقدّمون. فالبرامج التّعليمية عندنا تعاني من غياب التوزيع المنتظم والمحكم للعناصر الواردة فيها نظر الاستناد واضع يها على النّظرة الإفرادية والتّصنيفية في عرض الوحدات اللّغوية وهي منفردة ومعزول كلّ منها عن الآخر؛ بتخصيصها بتسميّة أو مصطلح، وبتحديد جنس كلّ منها كاسم وفعل وما يندرج تحته منفصل أو قسم كفاعل ونعت ومفعول وفعل لازم ومتعد، إلخ. وينجر عن هذا كله غموض وإبهام في تصوير وتعريف العناصر اللّغوية، فلا يفهمها التّلاميذ جيّدا كونها تعتمد على المعنى ولا تهتم بالجانب البنوي للكلام. "ويتجنب أيضا- وهذا أهم شيء- التّحديد بالجنس والفصل بالنسبة للبنى بل يستعمل الحد الرّسمي (الذي يذكر الصفات والعلامات المميّزة للشّيء فقط) ولا يلجأ إلى التحديد بالجنس والفصل إلا في الحقائق في ذاتها الخارجة عن نطاق البنية" (الحاج صالح، 2007، ص 70).

1-2-4- اعتماد مبدأ الأصل والفرع في تقديم الوحدات اللّغوية للمتعلّم بعد تخطيطها وترتيبها بناء على نفس المبدإ

لاحظ الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح أنّ البرامج التّعليمية عندنا تعاني من الافتقار للترتيب والتّخطيط المحكمين لعناصرها نظرا للابتعاد في وضعها على مبدإها مبني عليه النّحو العربي الأصّيل كله؛ وهو الأصل والفرع2، إذ أن هنا كمقاييس لغوية تربوية متعلّقة بالتّخطيط والتّرتيب للعناصر الّتي تبلّغ للمتعلّم بهدف إكسابه تدريجيا الملكة اللّغوية الأساسية؛ أي القدرة على التّعبير السّليم العفوي بتحقيق الميزة البنوية دون الإفرادية في ترتيب الوحدات اللغوية المراد تدريسها من خلال التسلسل في توزيعها على شكل تقابل بين الأصول والفروع "في قد ما لمعلم أو المدرس العناصر الجديدة (يستخرجها من النص الّذي سبق أن اطلع عليه المتعلم في حصة الإدراك) على شكل تقابل بين الأصول والفروع (ويحتاج ذلك أن يستعمل العناصر القديمة ويشعر التلميذ بهذا التقابل اللّفظي الدّلالي (في مستوى

الـدوال باسـتبداله عنـصرا بآخـر في داخـل الصيغـة الواحـدة)" (الحـاج صالـح، 2007، ص 74).فالترتيـب المعقـول المقبـول في نظـر الأسـتاذ عبـد الرّحمـن الحـاج صالـح لا يمكـن أن يكـون سـوى ذلـك المرتبـط بطبيعـة الوحـدات وهـي ضمـن كلّ متكامـلي حدّدهـا ويجمع بينهـا بنويـا وتفريعيـا أساسـا بعيـدا عـن كل الاعتبـارات الأخـرى الغريبـة والبعيـدة عـن منطـق اللّسـان الخـاص. والغايـة مـن هـذا كلـه هـو "أن نجعـل المتعلّـم لا يحسـب أيـة غرابـة عندمـا ينتقـل مـن درس إلى آخـر بـل يشـعر بوجـود تسلسـل متماسـك بـين الـدروس المتتاليـة ولا يتـم ذلـك إلا إذا كان الـدرس الواحـد يرتبـط بمـا قبلـه لمـا فيـه مـن التدعيـم والتّثبيـت للمكتسـبات السّـابقة وبالّـذي يليـه لمـا فيـه مـن التمهيـد له"(الحـاج صالـح،2007، ص 63).

1-2-5- تبسيط الصّورة التي تعرض فيها الظاهرة اللّغوية النّحوية

إنّ القواعـد اللّغويـة التـي ينبغـي أن تـدرج في المناهـج التّعليميـة، حسـب الأسـتاذ عبـد الرّحمـن الحـاج صالـح، في حاجـة إلى أن يعـاد فيهـا النّظـر في ضـوء مـا أثبتـه علـماء العربيّـة الأولـون ومـا تتطلبـه العلـوم اللّسـانية الحديثـة. ويجـب الاعتـماد عـلى التمثيـل والإبانـة التّصويريـة والـشّروح البّسـيطة حتـى يحمـل المتعلمـون عـلى اسـتنباط القاعـدة التـي تحكـم الظاهـرة اللّغويـة المدروسـة بأنفسـهم، وهـذا عـلى خـلاف الـدّرس النّحـوي التّقليـدي لأنّ "أحسـن الطـرق التّربويـة لتحصيـل النّحـو التّربـوي هـي الّتـي تقـدم معلوماتـه وقوانينـه عـلى شـكل رسـوم بيانيـة بسـيطة يشـار فيهـا إلى العلاقـات والعمليـات بالرّمـوز (وعددهـا قليـل جـدا) ويتفـاد ى بذلـك النّـص المسـهب الّـذي يصعـب حفظه"(الحـاج صالـح، 2007، ص 72).

1-2-6- عدم تناول الدرس الواحد لأكثر من صعوبة

إن عمليـات الإيصـال والتّبليـغ التعليمـي تتطلـب العمـل بالمبـدأ البديهـي القـاضي بالانتقـال مـن الأقـل إلى الأكـثر صعوبـة، والمقيـاس ههنـا هـو "ألاّ يتنـاول الـدّرس الواحـد إلاّ عـددا محـدودا جـدّا مـن العنـاصر الجديـدة مفـردات كانـت أم صيغـا إفراديـة وتركيبيـة" (الحـاج صالـح، 2007، ص 69،68). أي أن تقسـم الصّعوبـة إلى أقـصى درجـة

ممكنة غير أنّ المعمول به حاليا في المدارس يناقض هذا المبدأ الهام إذا لملاحظ هو احتواء الدّرس الواحد لأكثر من إشكالية؛ ممّا يتسبب في حشد ذاكرة المتعلم بالمعلومات النّظرية التي يستحيل عليه إدراكها في ظرف زمني قصير.

1-3- فيما يخصّ العملية التّرسيخية

إنّ الممارسة اللّغوية هي أهم وأصعب المراحل في عملية الاكتساب اللّغوي؛ فالملكة اللّغوية لا تحصل إلاّ عن طريق التدريب والممارسة المتواصلة "ولا نبالغ إذا قلنا بأنّ العمل الاكتسابي للّغة كله تمرّس ورياضة متواصلة كلما توقفت توقف معها النموّ اللّغوي وصارت الملكة فيها شيئا فشيئا إلى الزوال حتى ولو كان صاحب هذه الملكة يحفظ قواعد اللّغة كلّها"(الحاج صالح، 2007، ص 70). وعليه ينبغي في رأي الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح :

أ- إعادة النّظر في الفترة المخصّصة للتّدريبات اللّغوية التي لم تنل حظّها من الإعداد رغم أنّها تعتبر من أهمّ عوامل الترسيخ للمكتسبات التّعليمية، "بل وإن التّرسيخ هو كلّ شيء في تدريس اللّغة" (الحاج صالح، 2007، ص 72)؛ فالتّطبيق والتّدريب يكسبان التّلميذ القدرة العملية الإجرائية، وقد اقترح الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح أن تستغرق الحصّة التّرسيخية أغلب الوقت المخصّص للدّرس، وبأنّ "قسطها من الدّراسة يجب أن يكون أوفر بكثير من حصّة العرض والإيصال. ومهما كان فإنه يجب أن لا تقلّ نسبتها عن ثلاثة أرباع الدّراسة" (الحاج صالح، 2007، ص 70).

ب- التدريب على ضرب واحد من الكلام بحيث لا يتناول التّدريب الواحد أكثر من صعوبة واحدة؛ "وأن تقسم الصّعوبة إلى أقصى درجة ممكنة" (الحاج صالح، 2007، ص 68) أي التدريب على بنية واحدة أو تقابل بنوي واحد حتى يتمكّن التّلميذ من إنجاز التّمرين بسهولة ويكون هذا حافزا يدفعه لمواصلة عمله الاكتسابي.

ج- إدماج التّدريبات الّتي تكسب التّلاميذ قدرة التّصرّف في مختلف البنى عن

طريـق اكتسـاب الأنمـاط والمثـل الإجرائيـة بالتّقابـل بـين الأصـول والفـروع والتّنويـع في تقديـم هـذه التّدريبـات عـلى الشـكل الآتي :

- تمارين الحكايـة المجـرّدة "لمـا يسـمعه المتدرب...حتـى يتشـبّع سـمعه بهـا وتنشـط ذاكرتـه بإعـادة إطـارا لمسـموع الـدلالي إلى الشـعور"(حاج صالـح،2007، ص 75).

- تمارين الاستبدال السّاذج الّذي يخصّ الموضع الواحد من الصّيغة.

- تمارين الاستبدال المتعدّد المواضع بتغيير المادة في عدة مواضيع.

- تمارين الزّيـادة أو الحـذف وهدفهـا "تثبيـت العنـاصر المكتسـبة (لفظـا ومعنـى) مـع تثبيـت العنـاصر الجديـدة وبصفـة خاصّـة البنيـة الجديدة"(الحـاج صالـح، 2007، ص 76).

- تمارين التّصريف أو التّحويل البنوي "وهـو جوهـر التّمارين الجّاريـة عـلى البنيـة لأنـه تغيـير صيغـة القبيـل الواحـد مـن العنـاصر في داخـل الوحـدة اللّغويـة بـدون زيـادة (ولا حـذف) عـلى هـذه الوحـدة...لا تسـتبدل كلمـة بأخـرى في نفـس الموضـع بـل تفـرّع الفـروع البنويـة مـن الأصـل الواحد"(الحـاج صالـح،2007، ص 76).

د- التّنويـع في التّدريبـات الّتـي تعـرض عـبر مختلـف مراحـل الـدّرس وعـدم اقتصـار المربـين عـلى نـوع دون آخـر أو تفضيـل هـذا عـلى ذاك؛ لأن لـكل منهـا قيمـة في حـدّ ذاتـه: "ولـكل مـن هـذه الأجنـاس قيمـة في حـدّ ذاتـه إلاّ أنّ المربـين قـد يفضّلـون هـذا عـلى ذاك، بـل ويقتـصرون عليـه في غالـب الأحيـان في كلتـا المرحلتـين وفي جميـع الأحـوال. وقـد يـؤدّي هـذا إلى أن يصـير التّرسـيخ كلّـه حفظـا مجـرّدا أو تمرينـا تحليليّـا (كالإعـراب أو التّلخيـص للنّصـوص وشرح المفـردات) وتركيبيـا(كتركيـب الجمـل والإنشـاء) يـأتي دائمـا قبـل أوانـه فتكـون النّتيجـة بذلـك ضئيلـة بـل وقـد يصـاب المتعلـم بنـوع مـن العجـز والشّـلل الفكـري اللّغـوي في غمـره يـأس خطير"(الحـاج صالـح، 2007، ص 73).

2- نماذج من البحوث التي حاولت تطبيق هذه المبادئ

إن هـذه المبـادئ والأفـكار الرائـدة لم تبـق نّظريـة فقـط بـل تـم اسـتغلالها في الميـدان مـن قبـل الطلبـة الّذيـن تتلمـذوا عـلى يـد الأسـتاذ مـن خـلال العديـد مـن الرسـائل

والبحوث الأكاديمية ويمكن ذكر على سبيل المثال:

- الدّراسة التي اعتمدت مبادئ النّظرية الخليلية الحديثة في تقديم اقتراحات لتحسين طريقة تعليم اللفظة الفعلية في المدرسة الجزائرية مثل مبدأ الأصل والفرع في بناء البرامج وتقديم الدرس، وكذلك استغلال مفهوم المثال في التحديد الإجرائي للوحدات اللغوية، والموسومة: دراسة تحليلية تقويمية لطريقة تعليم اللّغة الفعلية في السنة السّابعة من التّعليم الأساسي واقتراح البديل بالاعتماد على مبادئ المدرسة الخليلية الحديثة، للباحثة مكّي صليحة؛ بحث قدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللّسان والتّبليغ اللّغوي، فرع اللّسانيات التّعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2002.

- الدّراسة التي وظّفت مبادئ النّظرية الخليلية الحديثة في تدريس اللّغة العربية واقتراح نموذج عرض الدرس فيما يخص التركيب الاسمي، والموسومة: النّظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تدريس اللّغة العربية -التّركيب الاسمي نموذجا- للباحثة حبيبة بودلعة؛ بحث قدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللّسان والتّبليغ اللّغوي، فرع اللّسانيات التّعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2002.

- الدراسة التي حاولت استغلال مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة في اقتراح شبكة من التدريبات اللّغوية الّتي من شأنها إكساب التّلاميذ مهارة التصرّف العفوي في بنى اللّغة، والموسومة: دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التّمارين النّحوية للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسي واقتراح البديل بناء على مفاهيم النّظرية الخليلية الحديثة، للباحثة فتيحة بن عمار: بحث قدّم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللّسان والتّبليغ اللّغوي، فرع اللّسانيات التّعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.

- الدّراسة الّتي استغلت النموذج اللساني الخليلي الحديث في وضع شبكة لتحديد المواطن اللّغوية التي تتسلل إليها أخطاء التّداخل اللّغوي عند التّلاميذ،

والموسومة: التّداخل اللّغوي بين العاميّة والفصحى لدى تلاميذ الطّور الثّالث من التّعليم الأساسي، للباحثة أوشيش كريمة؛بحث قدّم لنيل درجة الماجستير في علوم اللّسان والتّبليغ اللّغوي، فرع اللّسانيات التّعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2002.

الخاتمة

وخلاصة القول إنّ رفع مردود تعليم اللّغة العربية لا يكون بتبني أحدث البيداغوجيات إصلاحا للمنظومة التّربوية فذلك لن يغيّر في الأمر الشّيء الكثير ما دامت القضيّة لم تعالج من الأساس، بل يستلزم الأمر الانطلاق من نظرة واضحة للّغة العربيّة وتحديد المكانة التي تتبوؤها مقارنة باللّغات الأجنبية، خاصّة اللّغة الانجليزية التي أصبحت لغة العلم والتّكنولوجيا في عصر العولمة. فكثيرا ما نادى أساتذنا بتكوين الأجيال المستقبلية من المتعلمين والباحثين على أساس الازدواج اللّغوي الوظيفي الّذي يمكّنهم من استعمال لغتهم العربيّة استعمالا فعّالا، والتحكّم في أكثر من لغة أجنبيّة واحدة للانفتاح على العالم والاطلاع على أحدث ما تم التوصّل إليه في كل الميادين. ويخصّ بذلك الباحثين والأساتذة؛ لأن الباحث في نظره لا يمكن أن يكون أحادي اللّغة متقوقّع في ثقافة واحدة جاهلا للحضارات الأخرى والتّطورات الحاصلة في العالم.

وبلوغ هذا الهدف يستوجب بحثا متواصلا تشترك في إنجازه عدة تخصّصات تدمج في منظومة واحدة تتناول اللّغة والمشاكل الّتي يطرحه تعليمها وتعلّمها قصد النّهوض بطرق تعليم العربيّة وجعلها مواكبة لطرائق تعليم اللغات الأجنبية الّتي خطت أشواطا كبيرة في ميدان التعليميات اللّغوية. وفي هذا الإطار يجدر بنا أن نشيد بما ناضل من أجله أساتذنا منذ الستينيات في سبيل إرساء قواعد مثل هذه البحوث؛ حيث كان وراء إنشاء معهد اللّسانيات والصّوتيات، ثم مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، وكذا دبلوم في الدّراسات العليا حول إشكالية البحث متعدد التّخصّصات في اللّغة العربيّة مقارنة بما هو جار في اللّغات

الفرنسية والانجليزية.

ولا يمكن ختم هذه المداخلة دون الإشارة إلى أهم مشروع لا يزال الأستاذ يسعى إلى تحقيقه لإيمانه بضرورة وصل البحث في اللّغة وطرق تعليمها بما هو حاصل من تطور في ميدان التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتّصال؛ وهو مشروع الذخيرة العربيّة التي تعدّ مصدرا للبحث في اللّغة المستعملة وسياقاتها من خلال مدونة شاملة للنّصوص التراثية والحديثة. والّتي تساعد المعلم في الممارسة التّعليمية؛ حيث توفر له النّصوص والمعلومات الّتي يحتاجها. كما تمكّن المتعلم من تعزيز تعلّماته والاطلاع على المعلومات الضرورية لإنجاز المشاريع التي يكلّف بها في القسم.

الإحالات

1- نشير هنا إلى أن مشروع الرّصيد اللّغوي الوظيفيّ هو أهمّ مشروع أسّسه الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح بناء على حصر حاجات المتعلم التّعبيرية.

2- الأصل عند العرب هو ما يبنى عليه ولم يبن على غيره وهو العنصر الثّابت المستمر الّذي لا زيادة فيه أو النواة وهو أيضا ما يستقلّ بنفسه في الكلام. والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التّحويل.

قائمة المصادر والمراجع

باللّغة العربية:

- الحاج صالح، عبد الرحمن. (1997). تعليم اللغة العربية في التعليم الأساسي وإمكانية استفادته من البحوث العلمية الحديثة. بحث قدم في اليومين الإعلاميين حول التعليم الأساسي. الجزائر: المجلس الأعلى للتربية.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2007). أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية. بحوث ودراسات في علوم اللسان. مطبوعات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر: موفم للنشر.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2007). الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. مطبوعات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر: موفم للنشر.
- الحاج صالح، عبد الرحمن (2007). الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. مطبوعات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر: موفم للنشر.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2008). الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر: الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية -واقع وآفاق.
- أعمال الملتقى الوطني24 25- نوفمبر2007. الجزائر: مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.